الفتح الخامس :

القرآن ودولة المدينة المنورة

آنبتت الدولة الإسلامية الأولى التي آقامها رسول الله ﷺ في المدينة المنورة بعد الهجرة إليها على مبادئ من القرآن العظيم وعلى سننه ﷺ المهتدية بهذه المبادئ والقواعد والتوجيهات فقد كانت الدولة نموذجًا في وقتها حديثًا بكل المقاييس للدولة المدنية القانونية ومستورها هو القرآن والقانون فيها شريعة القرآن الشريعة الإسلامية التي آمن بها وارتضاها المسلمون باعتبارها القانون الذي ينظم علاقات الناس بعضهم مع بعض ويبني جسور الثقة بينهم باعتبارات الإيمان والأخوة والتعاون. والتكافل وضمان الحقوق يتمتع بها كل الناس في الدولة.

وكان من أهم المبادئ التي دعا إليها القرآن العظيم وأسس الرسول عليها بنيان الدولة في المدينة . ما يمكن إجماله واختصاره فيما يلي :

1-التوحيد في المعتقد الديني للمسلمين وفي التجمع الإنساني في الدولة لكل الناس.

2-الشورى .

3-مكارم الأخلاق .

4-سيادة القانون(الشريعة) .

5-المساواة في المواطنة وأمام القانون للجميع (عهد المواطنة) .

6-اختيار الحاكم على أساس البيعة أي الانتخابات بعد ذلك .

7-احترام حقوق الإنسان وحرياته خاصة حرية التدين الرأي والتعبير .

8-تقدير دور المرأة في المجتمع والدولة .

9-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

10-التسامح والقبول للآخر والعمل المشترك معه .(صحيفة المدينة) .

11-نظام في الإدارة وفق المتطلبات يعتمد على الكفاءات الشخصية للناس وقدراتها الإدارية .

فالنسبة لمسئولية الولاية لإدارة أمور الناس في الدولة فقد كان رسول الله ﷺ لا يولي للإدارة من يسأل المنصب ويسعى إليه أو يحرص عليه دون أن يكون كفؤًا وعدلاً وأمينًا وصادقًا وقادرًا ومؤهلاً ومخلصًا وكان يقول : «إنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها » .

إن رسول الله قبل أن يبني ويؤسس الدولة في المدينة المنورة قام طوال الفترة المكية التي سبقت ببناء وتأسيس الإنسان إيمانيًا وفكريًا وعقيديًا وأخلاقيًا ليلتزم الإنسان الذي نواة الدولة ولبنتها الأساسية مستقبلاً بنهج سلوكي قائم علي الوحدة الإيمانية والمحبة والإيثار والتعاون . والتكافل وعمل الخير والنافع والصالح المفيد .. إلخ .

وقد عاد رسول الله ﷺ إلى مكة فاتحًا بعد أن اضطره أهلها إلى مغادرتها مهاجرًا إلى واقع جديد يدعو فيه بحرية إلى الدين ويستطيع فيه أن يُقيم الدولة على أساسه مؤيدًا في ذلك بالله والمؤمنين كما يقول القرآن العظيم :﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنفال:62-64] .

إن الأديان السماوية كلها تفرز قيمًا مشتركة للأخلاق ومفاهيم أخلاقية نظرية

وتطبيقية (سلوكية) متشابهة . لأن الأديان السماوية مصدرها كلها واحد يهمها الإنسان الذي يبنيه الدين ويحترمه ويحترم كرامته وحريته وشخصه وحقوقه ويدعم ويبني أخلاقه ويصحح سلوكه ويضمن له حقه في العلم وعائده ومعيشته اللائقة بإنسانيته وحاجاته وبما يعتبر في ؟؟؟؟؟؟؟ وفي كل الأديان السماوية وفي كل دولة ووطن عامل (ضم) و (توحيد) لا سببًا في (فرقة) و(الانقسام) ، فالإنسان يرتقي ويرتفع إلى مرتبة الإنسانية فوق الحيوانات والأنعام البهيمية بركائز أساسية هي التوحيد الخالص في الإيمان والتقوى وفي الألفة والتآلف في المجتمع القائم لقوم صفاته ومواصفاته في مجتمعه ووطنه ودولته على العلم النافع والعمل الصالح والأخلاق الكريمة الفاضلة .

ونتيجة هذه التربية نشأ جيل صدر الإسلام الذي احتضن القرآن فتشرب تعاليمه وقيمه الأخلاقية وعاش حياته في عصره قرآني التوجه ، توحيدي المعتقد ، أخلاقي السلوك ، مراقب لربه وعلى صلة وتواصل قوي معه سبحانه وتعالى وقد احتضنه القرآن العظيم بالتوجه والإرشاد والتعليم والهداية ، جيل رباه النبي أحسن تربية ، جيل لم يتكرر عبر أجيال المسلمين وحتى وقتنا الحالي على أكتافه قام الدين ، وأنبتت الدولة الأولى في مدينة الرسول ومن بعدها في عهد الخلافة الراشدة وإلى أن تحولت الخلافة إلى ملك عضود وانهارت الأسس التي حددها القرآن العظيم لقيام دولة المسلمين المؤمنين وضعف المسلمين أنفسهم وخشيته وتقواه وضعف صلتهم بالله .وضعف تمسكهم بكتاب الله وبسنة رسول الله وتغيرت بعد ذلك أحوال الدنيا وواقعها ونظمها وتوازنات القوى فيها وفي دولها ..

إن ذلك الجيل الأول[1] هو جيل الصحابة وتابعين لهم، جيل (خير القرون قرني) الذي حدَّث به رسول الله وجيل (محمد رسول الله والذين معه) حدَّث به

(1) ولا يمنع ذلك من وجود شخصيات فردية متميزة أي أفراد في كل جيل من الأجيال المتعاقبة متميزين في صلتهم القوية بالله وبكتاب الله وبسنة رسول الله أي بدين الله .

القرآن العظيم في ختام سورة الفتح (الآية 29).إنه جيل مجاهدة الشيطان ومجاهدة النفس جيل الاستقامة وجهاد أعداء الله وجهاد أعداء المؤمنين وجهاد أعداء دولتهم وجهاد ظلمة وظلام الضلال وجهاد الظلم والاستبداد وجهاد الكافرين وكفرهم وجهاد المشركين وشركهم وجها المنافقين ونفاقهم وجهاد عبيد المال وعبيد المادة وجهاد المتعالين المستعبدين للناس وهاد الذين لا يعلمون والذين لا يتواصون بالحق ولا بالصبر وكل الذين هم في خسر في أي وكل عصر .

جيل إعلاء قيم الدين مثله العليا وقيم التدين الحق وتقوى الله قيم الأخوة والمحبة والإيثار والتعاون والتكافل والتسامح وسائر مكارم الأخلاق والتعايش السلمي وفي سلام مع الله ومع النفس ومع المؤمنين ومع سائر وكل الناس في إحقاق للحق ودعوة إليه وحرية كل إنسان في اعتقاده الدين .. وفي رأيه والتعبير عنه بحرية دون أي ضغوط .. إلخ ... جيل المؤمنين العاملين في كل أوجه الصلاح والإصلاح والنفع والمصلحة والخير متواصلين بالحق وبالصبر على ما يعملون ولا يحيدون عن تعاليمه ويفهم الذي يتوخى مع الإيمان العمل للدين والدنيا في إطار الصلة القوية بالله وقرآنه والتواصل والتبعية لرسول الله وسنته ﷺ .. ولذلك كان الله يقول في كتابه الكريم : ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:139] ويقول :﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:1- 3]] .

وإنه على الأساس التربوي الأخلاقي في الإنسان ذلك الجيل المطيع لأوامر الله وأحكامه في قرآنه بالاستقامة والمتبع لرسول الله وسنة رسول الله قائدًا وقدوة وأسوة قامت وانبنت الدولة وقتها والتي ما كانت لتقوم وتنبني وتستقيم وتقوى وتتسع إلا بالمواصفات التي تحلى بها إنسان ذلك الجيل المسلم والأخلاق التي

تخلق بها . إن المثالية الأخلاقية التي يقيمها دين الإسلام قرآنًا وسنة وكذلك كل دين سماوي إلهي آخر سابق عليه في أصول كتبه التي تنزلت ودعا لها رسل الله قبل محمد صلوات والله وسلامه عليه ، هذه المثالية في الأديان الإلهية كلها هنا مناط التقييم الصحيح والسليم لمقدار ومستوى كل إنسان ومواطن في دولته ولقدر تمدنه وتحضره في شخصه وفي سلوكه وفي معاملاته وتعامله مع كل إنسان آخر وفي أي دولة أخرى ، لأنه شريك في الإنسانية وفي حق المساواة فيها دون أي فرق أو تفرقة بين إنسان وآخر . كما حدَّث بذلك محمد رسول الله ﷺ المبعوث إلى الإنسانية ورحمة الله لها وللعالمين .. الشاهد والمبشر والنذير والراعي إلى الله بإذنه والسراج المنير ومقامه ﷺ ليس بالنسب الإنساني الأرض (الطيني) وإنما بالنسب الإلهي السماوي (الروحي الاصطفائي كما يقول تعالى في خاتم كتبه القرآن العظيم : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب:40] ولهذا النسب الإلهي والرسولي والنبوي الاصطفائي يقول الله تعالى أيضًا في القرآن العظيم :﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب:36] . وقد وصفت السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها رسول القائد والقدوة والأسوة بأنه كان متواصلاً ومتصلاً مع القرآن العظيم في حياته في سيرته كلها ووصفته بأنه صلوات الله وسلامه عليه كان (قرآنًا حيا) وكان (خلقه القرآن) ووصفه ربه في القرآن العظيم بقوله :﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:4] .

إن الظاهر القرآنية التي حملها واختلط بها الرسول ﷺ ظاهرة لا تتكرر لا في الشكل ولا في المضمون وهي مستمرة في الزمان وصالحة في المكان لا يدركها الموت ولا تدركها النهاية التي تدرك الإنسان ومنها فإن بقاء الظاهرة القرآنية أمر يدركه الإنسان المؤمن في نوعه الممتد في الوجود وهي ظاهرة لا يحتكرها جيل بعينه من الأجيال البشرية المتعاقبة . فالأجيال البشرية تتعاقب في تطور وترقي

للمعرفة بينما تظل الظاهرة القرآنيـة في الأفـق الأعـلى للمعرفـة تتجـدد تفسيراتها بتجدد الخلق الجديد والفيض المديد على الإنسان في نشاطه العقلي والروحي ، في الفكر والنظر البصري والبصيري والتجريـب ، وكمـا تخـتلط شخصـية الرسـول بالقرآن الكريم فإنها والقرآن يختلطان بالفرد وبالمجتمع اللـذان يتفـاعلان معهـما ويؤمنان بهما .فالبيان القرآني في آياتـه وفي حـق رسـول الله ﷺ سـينعكس في حيـاة الإنسان فردًا كان أو في أسرة أو في مجتمع أوفي دلوة .لقد غفل عـن هـذه الحقيقـة كثيرون من الناس ، وفطن إليها بعض الناس ، رأوا أنوار الرسول ﷺ وقد امتزجت بأنوار القرآن ،وتخطوا حواجز المكان في الأرض شبه الجزيرة العربية كما تخطـوا حواجز الزمان الممتد من وقت البعثة وحتى عصرنا الحالي ، يدركون في كل عصر من عصـور البشـرية في الأرض عبـر تطورهـا الفكـري ونمـو معارفهـا وعلومهـا وتطبيقاتها ، وعبر حضارات الإنسان في الأرض يدركون عناصر الإعجاز والعظمة في هذا القرآن ،وعناصر الطاقة والبناء في هذا القرآن ،وعناصر الإيمـان والتسـامح والحرية والإخاء والمحبة والمساواة والكرامة الإنسانية في هذا القرآن ، أن الـذين ينظرون إلى رسول الله ﷺ فلا يرون إلا ذلك الهيكل البشري الـذي كـان يعـيش في الصحراء ويركب الإبل ويسـكن الخيـام وينـزل المنـازل البدائيـة ويأكـل الطعـام العادي ويمشي في الأسواق للتجارة متدثرًا بدثار الأمية ،هم محجوبون عـن رؤيـة النور المحمدي الهادي ، نور الرسول في حقيقته وطاقته الروحية ونوره في أخلاقـه ونوره في رجاحة عقله وفكره ونوره من حيث حمله للقرآن الكريم ونوره من حيـث تخلقه بأخلاق هذا القرآن ونوره في كل أحداث ومواقف سيرته ونـوره في جهـاده من أجل أن تكون مبادئ دينه مشرقة بالخير والسعادة للبشـرية كلهـا في كـل بقـاع الأرض .

وأقرب من كان يجاور المسلمين في المدينة من غيـر المسـلمين هـو اليهـود ، الذين كانوا يبطنون العداوة للمسلمين ولكن لم يكونوا أظهروا أية مقاومة أو عداوة

أو خصومة بعد ، فعقد معهم رسول الله معاهدة قدر لهم فيها النصح والخير وترك لهم فيها مطلق الحرية في الدين وإقامة شعائرهم وفي المال ولم يتجه إلى سياسة الإبعاد والإقصاء أو المصادرة أو الخصام وإنما ما فعله كان يعتمد على (الوحدة في الجار والتعددية الدينية) وكانت بنود هذه المعاهدة وقد وردت في سيرة ابن هشام [1] وأوردها الشيخ عبد الرحمن المباركفيوري في كتابه «الرحيق المختوم» يمكن الرجوع إليها لمن يريد .

وبإبرام هذه المعاهدة صارت المدينة وضواحيها دولة وفاقية يرأسها رسول الله ﷺ والكلمة النافذة والسلطان الغالب فيها للمسلمين ،ولتوسيع منطقة الأمن والسلام عاهد النبي قبائل أخرى بعد ذلك يمثل هذه المعاهدة حسب ما اقتضته الظروف واقتضاه الواقع وضروراته واحتياجاته في وقته .

وبذلك كانت العلاقة بالآخر في دولة المدينة المنورة تقوم على عهد المواطنة والتعايش والسلام .وقد ألزمت صحيفة المدينة المنورة المعاهدة لليهود الزمت المسلمين والآخرين من سكان دولة المدينة بالدفاع عنها ضد العدوان عليها في التزام بعهد المواطنة والوحدة للناس من خلاله ولكن بالخيانة ونقض عهد المواطنة .. تجج رأس اليهود وقادتهم في تأليف أحزاب الكفر على النبي ﷺ وعلى المسلمين وعلى دولتهم في المدينة ، فتحركوا تحوها للهجوم بجيش كبير وقد نقلت استخبارات المدينة إلى قيادتها فيها أخبار هذا الزحف الخطير فأعدَّ الرسول والمسلمون للدفاع عن المدينة خندقًا أشار به الصحابي سلمان الفارسي إلا أنه في النهاية فشل أحزاب الكفار والمشركين من غزو المدينة والقضاء على المسلمين وقيادتهم ودولتهم فيها ، وكان للرسول وللمسلمين شأن آخر بعد ذلك مع اليهود الذين خانوا وخالفوا العهد ونقضوه ، يمكن الرجوع إليه في كتب السيرة .

(1) كذلك في سيرة ابن هشام وكتاب «الرحيق المختوم » لفضيلة الشيخ عبد الرحمن المباركفيوري وغيرهما .

قاعدة الاعتقاد الأساسية في القرآن العظيم

إن قاعدة الاعتقاد الأساسية في التصور القرآني والتي تتمثل في ربط الدنيا بالآخرة والبعث والحساب والجزاء بالثواب والعقاب ، لها أثرها على الفرد (المواطن في الدولة) من حيث إتقان العمل وإجادة الإنتاج في كل مواقع العمل والمسئولية ؛ لأن هذه العقيدة تذكر المسلم بالجزاء على العمل الذي يؤديه ، ومدى إخلاصه وإتقانه في أدائه ، وهو يعني نوعًا من الرقابة الداخلية من الفرد على نفسه من منطلق الإيمان بمراقبة الله للعبد في كل مكان وفي كل وفت وزمان .[النساء: .ومن هنا فإن العمل والإنتاج اللذين يلقيان القبول عند الله هما العمل النافع والإنتاج النافع : ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف:58] .

وأنه مما ذكره ودعا إليه القرآن العظيم ودعت إليه معه سنة خاتم المرسلين يمكن أن نستخلص النتائج الإيجابية المفيدة التالية التي يستفيد فيها المؤمنون في كل عصر وزمان :

1-إخلاص الإنسان (المواطن) في عمله المنوط به وبحيث تتوفر في محتواه وفي نتائجه شروط ومعايير الجودة والإتقان فيه .

2-إخلاص الإنسان (المواطن) العامل للمنشأة التي يعمل بها يعطيها من جهده وإمكاناته وعلمه وخبرته ما يستطيع .

3-إخلاص الإنسان (المواطن) في عمله في كل مجالاته وقطاعاته المختلفة في دولته ووطنه.

4-الحساب الذاتي من جانب كل إنسان (مواطن) عامل يراعي ربه ودينه ومصلحة وطنه في عمله وقبل أن تحاسبه القوانين واللوائح الموضوعة .

5-إحسان الصلة بكل الناس (قدوة واقتداء) في العلاقة بهم والتعامل معهم داخل وخارج مواقع العمل والمسئولية مع تدعيم القبول للآخر والتعاون المشترك بينه والتسامح في العلاقة معه كما يأمر الدين.

أخلاقيات في جوانب من الفكر الاقتصادي في القرآن العظيم

كما ويمكننا أن نستخلص أخلاقيات في جوانب من الفكر الاقتصادي في القرآن العظيم فيما جاء في السور التالية :

1-سورة البقرة :

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : 155- 157].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة : 168].

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : 188] .

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : 215] .

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة : 245].

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة 261].

﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ

عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [البقرة : 271] .

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : 274] .

2- سورة المائدة :

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ [المائدة : 55].

3- سورة التوبة :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [التوبة : 34-35].

4- سورة هود :

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَـٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ [هود: 84-86] .

5- سورة النحل :

﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [النحل : 71] .

6- سورة الزخرف :

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف : 31-32] .

7-سورة قريش :

﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ [قريش : 3-4] .

8-سورة الفرقان :

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان : 67] .

هذا وقد جاء القرآن الكريم في آياته محدثًا عن أمور اقتصادية ومالية أخرى مثل حب المال ومفهوم البر والزكاة وتحريم الربا والإنفاق في الخير والمصلحة والبناء والتطوير والتعمير وتحقيق العدالة الاجتماعية .

أخلاقيات التعامل المالي في الآيات القرآنية

كذلك يمكننا أن نستخلص أخلاقيات التعامل المالي في الآيات القرآنية كنموذج ومثال :

1-إبرام العقود منعًا للاختلاف : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾ [البقرة:282] .

2-ثم الالتزام والوفاء بنصوص العقود : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ﴾ [المائدة:1] . حتى تكون الثقة سببًا في استقرار ونمو المعاملات التجارية في المجتمع .

3-تجنب الكسب غير المشروع : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ [النساء:29] .

4-تحريم الربا: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البقرة:275].

5-تحريم الكذب والخداع والخيانة: ﴿ إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴾ [النحل:105].

6-تحريم قول الزور والتدليس: ﴿ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴾ [الحج:30].

7-النهي عن سوء إدارة الأموال بالإسراف والتبذير: ﴿ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ [الأعراف:31].

8-التوسط في الإنفاق: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾ [الفرقان:67].

9-الإنفاق سرًا وعلانية: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾ [إبراهيم:31].

10-الإنفاق على الوالدين والأقربين واليتامى، ثم على عامة المحتاجين والمستحقين من المواطنين بما يحقق التكافل الاجتماعي القائم على مبدأ الأخوة وإحسان القادرين بمعاناة غير القادرين: ﴿ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ﴾ [البقرة:215].

11-الإنفاق من الطيب المحبب إلى النفس: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ ﴾ [البقرة:267].

12-النفقة مدخرة ولا تضيع هباء: ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴾ [البقرة:272].

13-الإنفاق ينبغي أن يكون على قدر السعة والاستطاعة : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق :7] .

14-النفقة من الخبيث غير مقبولة ؛ لأنها عن نفس غير مخلصة في عمل الخير والإصلاح : ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ﴾ [البقرة:267] .

15-مراعاة شعور ونفسية المنفق عليه ، بالنهي عن إبطال النفقة بالمن والأذى : ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣) يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [البقرة:263-264] .

كلمة الأستاذ الدكتور والشيخ علي جمعه :

أما عن القرآن الكريم الذي نتحدث عنه على قدرنا المتواضع(1) فيقول أستاذنا الدكتور على جمعة مفتى مصر الأسبق :

«إن المنطلق الصحيح لكل عمل هو كون القرآن المرجع لعقيدة المسلم وسلوكه واختياراته ومواقفه ونموذجه المعرفي ورؤيته للكون والإنسان والحياة وما قبل ذلك وما يعده وإدراكه لوعيه ووظيفته التي خلقه الله من أجلها : عبادة الله، عمارة الأرض ، تزكية النفس ، وتعني المرجعية القرآنية أن نجعل القرآن :

1-محددًا لحياتنا .

2-متممًا لأعمالنا ووصلها بالمدح أو القدح ، بالقبول أو الرد .

3-مخدومًا لعلومنا ، فمنه البداية وإليه المنتهى ، وهو احد طرفي المعرفة عند

(1) في تقديمه لكتابي عن«المرجعية الإسلامية – تحديد المفاهيم » . المنشور من مكتبة الشروق الدولية .

الإنسان ، وهما الوحي والوجود .

والقرآن هو لكل زمان وكل مكان ، ولكل الأحوال ولجميع الأشخاص ..ولذلك فخرافة تاريخية القرآن محض وهم ، وأنه يصلح لعصر النبي محمد ﷺ ولا يصلح لغيره هو محض افتراء مضحك وسخيف في نفس الوقت .. انتهى .

كما يقول أيضًا فضيلته (1) : «... إن علوم القرآن .. » .

«إن علوم القرآن» من أجلِّ وأشرف علمنا الإسلامية – التي أسَّسها علماؤنا وأئمتنا وبنوا مبادئها ومسائلها عبر القرون ؛ لتكون وسائل تعين «الأمَّة المسلمة» على استجلاء معاني القرآني ، وتلاوته حق التلاوة ، وفهمه وتدبُّره ، وصياغة حياتهم به ، وإقامة مجتمعاتهم على بينَّة ونور منه .والقرآن كتاب الله – تعالى – وكلامه لا تنقضي عجائبه ، ولا ينضب معين معانيه ودلالاته .وقد أنزله الله على خاتم النبيِّين ليقوم بعد ختم النبوات به مقام الأنبياء والمرسلين ؛ فهو الكافي والشافي والمغني عن تتابع النبوّات وتتالى الرسالات . وعلوم خدمة ذلك الكتاب المعجز لا يمكن أن تقف عند جهود جيل واحد من أجيال الأمَّة أو قرونها ؛ لأنّ هناك وسائل غير ثابتة ، وفي دائرة تلك الوسائل المتجددة تتنافس الأجيال بحيث يكون لكل جيل نصيب من شرف خدمة القرآن وسبيل للانضمام إلى حملة لواء القرآن .

وإعادة صياغة «علوم القرآن » ،وتقديمها لأجيالنا الواعدة بأسلوب يلائم مداركها ،ويناسب قدراتها ، أمر في غاية الأهميَّة في عصرنا الحاضر .ولا يجيد القيام به إلا من أخذ من علوم القرآن وعلوم المقاصد والوسائل الإسلامية بنصيب وافر. وأخذ – كذلك – من معارف العصر والتيَّارات والتوجهات البارزة فيه بمثله »

(1) في تقديمه لكتاب «أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم في الخلاص منها » للدكتور طه جابر العلواني .